مديرها العام : لم تقدم لنا اية جهة كتاباً ولا فلساً واحداً!

المكتبة المركزية لجامعة بغداد.. ما زال السخام يغطي جدرانها !

أحمد السعداوي

يعرف المرتادون للمكتبة المركزية التابعة لجامعة بغداد موظف الاستعلامات (ابو رزاق) اكثر من معرفتهم لأي موظف آخر في المكتبة. و(أكثر) هذه قد تعني في بعدها الاجتماعي، صلة يومية وسلاماً وكلاماً، واستقبالاً ودوداً. واجابة عن استفسار وإيصالاً لأمانة. وكثيراً ما أكد طلبة الدراسات العليا أن ذاكرة (ابو رزاق) خارقة، فهو لا ينسى وجوه من يدخلون من باب المكتبة أبداً ولا ينسى الكثير من الاسماء التي تمر على أذنيه.

أبو رزاق الذي كان يتحرك وسط (حياة) المكتبة وغليانها بالمرتادين من اساتذة وطلبة دراسات عليا. يجلس الآن على منضدة معدنية صدئة و (مبعجة) من جهاتها المختلفة. وضعت كيفما اتفق. أمام الفتحة الواسعة لباب المكتبة المشرع على الفراغ، فراغ الاستعلامات، وفراغ العمل، وفراغ الاثاث والديكورات والارضيات، بل أن ذاكرة (ابو رزاق) بدت متعبة وكأنها تعرضت هي ايضاً لآثار السلب والنهب والحريق الذي طال هذه المكتبة العريقة في الأيام الاولى لسقوط النظام. فبعد كلام كثير كانت الخلاصة التي انتهى اليها ابو رزاق.. هي أمنية حزينة بان تعود المكتبة إلى سابق عهدها.. وافضل.

ركام المكتبة

اعمال الصيانة والتعمير والبناء تجري في المكتبة المركزية الآن، حتى ارضية البهو.. شاهدنا عمالاً يركبون الـ(كاشي) الجديد فيها. اضافة إلى اعمال الكهربائيات والتأسيسات المائية، ولكن لم يبدو متأخراً القيام بكل هذه الأشياء، بعد اكثر من سنة ونصف على خراب هذه المكتبة التي تعد واحدة من أهم المكتبات في العراق.

الاستاذ وضاح عبد الامير / مدير المكتبة المركزية.. حدد لنا هذه الاهمية منذ لحظة التأسيس، ففي عام ١٩٥٩ تأسست المكتبة المركزية على ايدي اساتذة ذوي اختصاص وعلى ايدي خبراء اجانب استقدموا من خارج العراق لتنظيم هذه المكتبة على وفق الطرز الحديثة.

ولكننا نتساءل هنا.. أما زالت المكتبة توازي في عملها وتنظيمها الطرز الحديثة في المكتبات؟ هذا سؤال كما يبدو لا يحتاج إلى إجابة! فما بين مكتبات سنة ١٩٥٩ ومكتبات اليوم فرق شاسع من حيث التبويب والتنظيم والوسائل الحديثة في تقديم الخدمات.

"في الوقت الذي تسلمت فيه إدارة هذه المكتبة قبل ما يقرب من السنتين كانت المكتبة عبارة عن ركام" هذه الصورة التي ينقلها لنا الاستاذ وضاح. تجعل المكتبة في وضعها الحالي ابعد بمراحل عن شبيهاتها في العالم.

لصوص يزهدون بالكتب

البناية التي تسمى بالمكتبة المركزية لا تحوي في واقع الامر سوى نصف (المكتبة) لأن المكتبة المركزية تنقسم إلى قسمين، قسم الكتب الانسانية (بناية المكتبة المركزية الحالية) وقسم الكتب العلمية في الجادرية.. ومن حسن الحظ أن المكتبة العلمية في الجادرية لم تتعرض لأي خطر في فترة سقوط النظام، لكن المكتبة الانسانية التي يدور كلامنا حولها الآن هي التي دفعت ضريبة التغيير كما يبدو.

"الاجهزة سرقت كلها، أجهزة التبريد والتصوير والكمبيوترات والكهربائيات الأخرى.. مراوح.. تلفزيونات.. الخ" يقول الاستاذ وضاح.. مبيناً أن خراباً شمل قسم الاعارة وقسم المراجع والدوريات وأن البورد الرئيس كان قد احترق..

..بدأنا بغسل الحيطان عن طريق خراطيم الاطفائية.. واعدنا التيار الكهربائي بجهود شخصية.. ويبدو أن اللصوص لم يكونوا مكترثين للثروة الاهم في المكتبة (الكتب) وانشغلوا بسرقة الاجهزة لذا لم نفقد اياً من كتب المكتبة المهمة.. ما عدا كتابين أو ثلاثة.

وحين سألنا الاستاذ وضاحاً عن نقل كتب المكتبة، قال انها لم تنقل إلى أي مكان آخر وظلت في مكانها وبسبب أن الباب الرئيس المصنوع من الخشب كان قد احترق، لذا سارعنا لوضع باب حديدي (سلايد) في مكانه.. وسد جميع المنافذ الأخرى التي يمكن ان يستعملها اللصوص.

ويستذكر حبيب فرحان سيد (احد الحراس في المكتبة) تلك الأيام، وبالذات الحريق الذي شب في المكتبة.. قائلاً أنه ذهب في وقتها إلى (معمل الخيم) لجلب الاطفائية.. وكان هناك عدد من ابناء المنطقة قد تدخلوا لمساعدتنا، واستطعنا اطفاء الحريق والسيطرة على الموقف. وقد جلبت بعدها من اولادي من ساعدني مع باقي العاملين في تنظيف المكتبة.

ولا كتاباً واحداً!

استذكرت مع الاستاذ وضاح عبد الامير / مدير المكتبة المركزية، تلك الأيام التي بدا فيها موضوع المكتبة المركزية (المحترقة (المنهوبة) شغلاً شاغلاً للصحافة والاعلام. ومن ورائهم العديد من المنظمات الانسانية والثقافية حكومية وغير حكومية. بحيث تجسدت صورة (هولاكوية) عن احتلال بغداد وحرق المكتبات فيها!

تساءلت.. هل استفادت المكتبة المركزية بشيء من هذا الاهتمام الاعلامي؟

اجابنا الاستاذ وضاح بنبرة واثقة: في الحقيقة لم تقدم لنا أية جهة من الجهات أو أية منظمة انسانية أو ثقافية حتى الآن كتاباً واحداً.. ولا فلساً واحداً.

والمكتبة تعتمد بشكل رئيس على ما تملكه جامعة بغداد من تخصيصات مالية. وما تقدمه في هذا المجال على قدر استطاعتها، وامكانية الجامعة المادية ضعيفة كما هو معروف.

ثم يستدرك الاستاذ وضاح مقلباً اوراقه قائلاً ان هناك استاذاً كان مدرساً في الجامعة المستنصرية اسمه الاستاذ هوشيار، يعمل في منظمة هولندية وعاد إلى العراق بعد الاحداث، للامانة نقوان هذا الاستاذ قدم مساعدة (١٠) اجهزة تبريد و(٣) حاسبات للمكتبة.

ايضاً هناك منظمة واحدة.. هي منظمة النهرين التي يرأسها علي فاضل الشلاه.. وعدتنا بان تقدم للمكتبة (٥٠٠٠) كتاب في اختصاصات متنوعة. لم يصل منها سوى (١٥٠٠) كتاب.

طلبنا من الاستاذ وضاح ان يتذكر أكثر، لكنه بعد تأمل قال: هذا كل شيء والامور الباقية تمت (وتتم حالياً) عن طريق الجامعة كما قلنا.

المكتبة حالياً

المكتبة التي تحوي ما يقارب المليوني كتاب. ربما تكون المكان الوحيد في العراق لبعض العناوين النادرة المفقودة في السوق، وكذلك لجملة من الكتب ذات الطابع التاريخي النفيس. وهذا الخزين من الكتب لم يحو الكثير من العناوين الحديثة التي طرحتها المطابع العربية والعالمية خلال أكثر من عقد، ويقول الاستاذ وضاح عن ذلك.. انهم - في المكتبة - ينتظرون تحسن الظروف ليعيدوا اتصالهم بدور النشر والمؤسسات الثقافية لارسال جميع الدوريات والنشرات والكتب. أما الآن فهذا الاجراء متوقف بسبب العراقيل الكثيرة.

المكتبة حالياً اعادت فتح الحاسبات فيها. حيث يراجع الطالب أو الاستاذ ليبحث عن الكتاب الذي يريده، والمكتبة تقوم بعملها حالياً في جميع اقسامها، وقد باشرت شركة مقاولات عراقية باعادة اعمارها منذ شهرين (كم يبدو هذا متأخراً) لكن تبقى مشاكل اخرى منها مشكلة الانارة والسخام الذي في سقوف وحيطان قاعات القراءة.

جنود مجهولون

الايام القادمة للمكتبة ستشهد حالاً أفضل لها، وقد اجتزنا معاً مرحلة صعبة لا يمكن لها أن تتكرر.. يقول ابراهيم علي موظف الامن في المكتبة. الذي ارغب بالانتهاء عنده لأنه احد الجنود المجهولين الذين دافعوا عن هذه المكتبة. ابراهيم يستذكر تلك الأيام الصعبة بتأثر بالغ.. حيث كان ليلاً وحده مع رجل آخر توفي الآن هو عبد الله الطعان.. كان يمنحني دافعاً قوياً.. يقول ابراهيم.. مستذكراً تلك الساعة التي وقفت فيها سيارة (مصلحة ذات الطابقين) أمام باب المكتبة عصراً ونزل منها لصوص نهبوا موجودات المكتبة ولم يكن لدى ابراهيم سلاح.. وبعد أن احتشد الناس عليهم فروا.. لا ينسى ابراهيم الذي يقيم مع عائلته في بناية ملاصقة لبناية المكتبة عون أهل المنطقة من الشباب وكيف انهم ساعدوه في غلق ابواب المخازن بالرفوف وعربات الكتب.. "كان اهم شيء بالنسبة لي المراجع" كرر ابراهيم لأكثر من مرة.. وتعجب مع نفسه كيف انه أمضى تلك الـ(٢٠) يوماً وحده في ظلام المكتبة واضطراب الاوضاع.. "الحمد لله ذهبت هذه الأيام" يقول ابراهيم ثم يضيف باطمئنان "والحمد لله لأنها لن تكرر بعد اليوم".

خلال احداث نيسان ٢٠٠٣ اللصوص سرقوا الأجهزة والاثاث وتركوا مليوني كتاب على حالها

المكتبة اجتازت أسوأ ايامها.. واعمارها ابتدأ منذ شهرين ونصف

تحت الضوء

كي لا نشوه قاموس الطفولة

عامر القيسي

يهتم علماء التربية وعلم النفس، باللغة الموجهة للأطفال، باعتبارها واحدة من أهم مكونات البناء الفكري والتربوي والمعرفي للطفل.

وتؤسس لذلك هيئات ومؤسسات مختصة، مهمتها الأساسية إنتقاء اللغة ومفرداتها الموجهة لهذا العالم. ذلك أنه بناء على قاموس الطفل اللغوي تنشأ شخصيته وميوله واتجاهاته المستقبلية سلباً أو إيجاباً.

❖فما حال قاموس لغة أطفالنا اليوم؟

إن لغة الحرب والعنف التي نشأ عليها جيل التسعينيات، انتجت لنا ثقافة اجتماعية عنفية ليس على مستوى الأداء اللغوي فحسب بل على المستوى السلوكي المتناغم مع هذه الثقافة. وإذا ما أضفنا هذا النتاج إلى أجواء وتوابع ونتائج الحرب الأخيرة، وما تعرضت له لغة الطفل من تشوهات واختراقات وصدمات مؤثرة، أمكننا أن نلمس بكل وضوح حجم الضرر الذي تعرض له الطفل العراقي ولا يزال يتعرض له في أجواء العنف هذه.

فطفلنا اليوم يشاهد في معظم أوقاته مشاهد حية، وأخرى تلفزيونية، متخمة بالعنف والشراسة المرتبط، بالضرورة بمفردات أكثر عنفاً تنطلق من أفواه أولئك الذين يظهرون على الشاشات، وسرعان ما يتلقفها الطفل المسكين، لتدخل قاموسه اللغوي دون أن يختار ذلك، ولنتصور أن طفلاً في الرابعة من عمره يقول عن مدفع الإفطار بقوله "راح تضرب القاذفة"!!

إن هذا الضخ اللغوي والبصري العنفي، الذي يثقل كاهل الطفولة نفسياً ولغوياً، سيخلق لنا، مشكلة مستقبلية غير منظورة الآن، سنضطر لكي نعالجها، أن نعالج عشرات المشاكل المحيطة بها، من برامج تعليمية وتربوية وإعلامية إلى مؤسسات بحث وإصلاح وتقويم.. الخ.

من الطبيعي أن أحداً لا يملك حلاً سحرياً أنياً لمثل هذا الواقع، خصوصاً في مثل ظروفنا الحالية. إلا إن هذا لا يعني بأي حال، أن نترك هذا العالم الطفولي فريسة سهلة لهذه الشراسة البصرية واللغوية، تدمر حلاوة لسانه وخيال أفكاره ولغته البريئة، وتشوه نظرته إلى الأشياء.

هو وضع برنامج تفصيلي واقعي، بدأ بالجانب الإعلامي، من خلال صفحات يومية مخصصة للأطفال في جميع الصحف العراقية، ومجلات أسبوعية توزع مجاناً. وإنشاء قناة تلفزيونية خاصة بالأطفال وبرامجهم، تجذبهم من عالم الكبار العنفي.. وتؤسس لذلك - بالتعاون مع كل الجهات المختصة حكومية وغير حكومية ودولية - برنامجاً تربوياً فكرياً في هجوم معاكس، مبني على دراسات خاصة بواقع الطفل العراقي والتأثيرات الجارية والفاعلة والمتوقعة في تكوينه النفسي المستقبلي، إنه جهد ضخم، لكنه مطلوب، ومطلوب بإلحاح شديد. ذلك إن الخطوة الأولى إن بدأت الآن فهي أفضل، بما لا نقاش، من أن تبدأ بصعوبات أكبر ومشاكل أعقد.

انقذت من موجة الحرائق.. لكن غبار الاهمال يخنقها!

مكتبة الاوقاف المركزية في الموصل.. صرح حديث لذاكرة عتيقة

الموصل / مكتب المدى / نزار عبدالستار

مر من الزمن ما لا يعد قليلاً في عمر المدن العريقة، وشارع الدواسة يستمد هيبة حركته من نبضة مركزية قوية. . نبضة عافية كانت تمد الموصل بحيوية وتشدها إلى جذورها. عقود شارع الدواسة القديمة لها ثقلها في الذاكرة الموصلية لانها تقترن بخير قد لا يتكرر وبمتعة فنطازية لا تزال شواخصها العمرانية تهرم ذاهلة امام تقلبات التاريخ.

الانقلابات الجذرية في اتجاهات الشارع تبدو واضحة في الجادة القصيرة المتفرعة من وسطه، والتي تجذب نهايتها الروح والبصر الى جامع مهيب، مشيد من الحجر الاسمر، حمل اسم النبي شيت، احد اقدم انبياء الارض. وعلى النقيض من التاريخ المادي لشارع الدواسة، الذي حجمت عناصر الحياة والتجارة اللهو البرى فيه الى عدد يثير القلق من المقاهي والمطاعم، تبدو الجادة الصغيرة المنتهية بجامع ومرقد النبي شيت، حية بحركة علمية احيتها المدارس الاسلامية والجمعيات والنشاطات الدينية.

روحانية هذه البقعة نمت في العقد الاخير متقربة من الجامع ومعتمدة في مناهلها على بناية صغيرة بقيت متقشفة وهادئة الى ان جذبت اهتمام اهل الخير وتم ترميمها على وفق الطرز العمرانية الشائعة في دور العبادة. الانطباع البصري الاول سيشير حتما الى هيكلية مسجد، لكن العين السليمة ستتعلق بقماشة العلم العراقي وبقطعة رخامية تتوسط جبين المبنى كتب عليها: مكتبة الاوقاف العامة.

تاريخ المكتبة

تمكنت من استدراج امينها الاستاذ حميد عبد الوهاب، وهو شاب طموح في الثلاثين، الى حوار حر موحيا اليه بفضول عفوي لا يضمر شر التحقيق الصحفي الذي يهابه مديرو الدوائر الرسمية.

دارت اسئلتي حول تاريخ المكتبة ومكوناتها الاساسية، على خلفية ان العاملين في رحابها يركزون على نقطة العراقة دون غيرها من الامور التي تعزز مكانة المكتبة كمؤسسة معرفية لها ثقلها، في حين حثت تعليقاتي ومداخلاتي على ضرورة اتخاذ النهج العلمي والتكنولوجي في محاولات تطوير المكتبة التي تعاني فقراً يدركه القائمون عليها، ولا يخفون حقيقة انها متأخرة كثيرا عن مثيلاتها في المحافظة.

حدثني الاستاذ حميد عبد الوهاب قائلا : تعد خزائن الواقف حسن باشا الجليلي ثم خزائن المدرسة الاسلامية نواة المكتبة، وكانت وقتها بعهدة الشيخ عبد المجيد اسماعيل الخطيب، وبادارة المدرسة الاسلامية. وفي ٣١ / ٧ / ١٩٦٣ تم نقل هذه الخزائن، ومعها خزائن العلامة محمد افندي الرضواني الى مدرسة محمود اغا الجليلي الملاصقة للمدرسة الاسلامية، وتم تسميتها (مكتبة الاوقاف). في ذلك الوقت جرت حملة واسعة النطاق لجمع التراث المخطوط والمطبوع من الجوامع والمدارس الاسلامية المنتشرة في الموصل وكان الهدف من ذلك انقاذ تراث المدينة من الضياع والتلف وجمعه في مكتبة تشرف عليها الدولة، وقد توفرت للحملة اسباب النجاح، وشارك فيها اعلام المدينة وتجمعت في المكتبة عشرات الخزائن المهمة بلغت (٦٤) خزانة حوت نوادر المخطوطات والكتب القيمة. وفي ١ / ٧ / ١٩٧٣ تم جمع الخزائن في هذه البناية التي افتتحت رسميا عصر يوم الجمعة ٨ / ٢ / ١٩٧٤ ,

٤٢٢٣ مخطوطة بحاجة الى صيانة وتعفير

الامين الثاني لمكتبة الاوقاف

دهشت حين اخبرني الاستاذ حميد عبد الوهاب (حقوقي من مواليد ١٩٦٩) انه الامين الثاني للمكتبة منذ تأسيسها وعلمت منه ان اول امين لها كان الاستاذ سالم عبد الرزاق احمد حيث قام هذا الرجل الجليل بتأليف فهرس مخطوطات مكتبة الاوقاف العامة في الموصل وذلك في تسعة اجزاء تناول فيها ذكر مخطوطات كل خزانة أو مدرسة حسب اهمية الموضوع المصنف فيه المخطوط وقد بدأ بالمخطوطات الخاصة بعلوم القرآن ثم علوم الحديث ثم العقائد والاخلاق واصول الفقه والفرائض والفقه والادب ودواوين الشعر والنحو والصرف والبلاغة والمنطق والطب والتراجم والتاريخ.

انجازات الاستاذ سالم عبد الرزاق اهلته ليكون مديرا للاوقاف ثم مديرا لهيئة استثمار اموال الاوقاف وهكذا ظل منصب امين المكتبة شاغرا لسنوات طوال الى ان تولى الاستاذ حميد عبد الوهاب امانة المكتبة عام ٢٠٠١ ,

هموم مكتبية

برغم المظهر الخارجي الجميل والمكانة الجليلة التي تحتلها المكتبة في نفوس طلاب العلم الا انها تعاني مشكلات بدت لي غير مفهومة؛ فهذه المكتبة اهملت على مدى عقود وبشكل اساء كثيرا الى ماتحتويه من نوادر والشيء اللافت للنظر ان مكتبة الاوقاف هي المكتبة الوحيدة في الموصل التي لم تصلها يد التخريب ولم يقربها اللصوص في اعقاب انهيار النظام العراقي السابق، كما لم يحاول احد من المسؤولين عليها الحاقها بالعصر الحديث.

حدثني امين المكتبة قائلا: لم تنل مكتبة الاوقاف في الموصل الاهتمام المطلوب؛ فمطبوعاتها مصنفة تصنيفا قديما، اعتمد التسلسل العددي داخل كل خزانة من الخزانات التي يبلغ عددها الان (٧٠) خزانة و تضم (٢٨١٤٣) كتابا. واكثر الخزائن ندرة هي خزائن الشيخ محمد الرضواني والشيخ محمد صديق الجليلي والشيخ عمر النعمة والاستاذ كوركيس عواد والاستاذ الشاعر محمود الملاح. وتعد خزانة الدكتور داود الجلبي اكبر خزانات المكتبة فهي تضم اكثر من (٦٠٠٠) كتاب منها (١٠٠٠) كتاب باللغة الانكليزية. هذه الخزائن لاتتوفر لها وسائل حفظ جيدة وكتبها في طريقها الى التلف. كما ان اعمال الصيانة التي جرت على المبنى ادت الى اضرار لم نستطع معالجتها لانعدام التخصيصات المادية كما تعاني المكتبة نقص الملاك المتخصص علما ان مكتبتنا بحاجة ماسة الى اعادة تصنيفها على وفق تصنيف (دوي العشري) المعتمد في ٩٠٪ من مكتبات العالم.

المخطوطات

معلوماتي الشخصية تفيد بوجود العديد من المخطوطات النادرة في هذه المكتبة، وهذا ما اكده لي الاستاذ حميد عبد الوهاب في زيارتي الثانية، طلبت منه السماح لي برؤيتها عن كثب، والاطلاع على مستلزمات حفظها، الا ان امين المكتبة رفض طلبي بحجة وجود تعليمات صارمة تمنع الاطلاع عليها، وامتنع ايضا عن ذكر اهم تلك المخطوطات، وما تحتويه الخزانة من نفائس، واكتفى بالقول ان المكتبة تضم العديد من المخطوطات الاصلية الفريدة من نوعها في العالم، واشار الى وجود (٤٢٢٣) مخطوطة في المكتبة وهي بحاجة ماسة الى الصيانة والتعفير.

وفي نهاية جولتنا التي قمنا بها في ارجاء المكتبة، تردد الاستاذ حميد عبد الوهاب قبل ان يشير باصبع سريع الى بوابة حديدية حيث ترقد خلفها المخطوطات واصفا لي الحالة التي تبدو عليها هناك بانها مأساوية، وذكر لي انه تقدم في عام ٢٠٠١ بطلب الى المكتب العلمي الاستشاري التابع الى كلية الحدباء الجامعة داعيا اياه الى المساهمة بمشروع للتداول الالي لمخطوطات المكتبة وقد تم اعداد المشروع الا انه لم ينفذ بسبب الافتقار الى الاجهزة والملاك المتخصص وعدم توفير الدعم المادي .

احلام تبحث عن تمويل

حدثني امين المكتبة عن احلام قال عنها انها ممكنة وسهلة ولكن عدم وجود ميزانية خاصة بالمكتبة تعيق محاولات التجديد والتحديث وتكلم عن محاولة انشاء مركز للبحوث والدراسات الاسلامية والتراثية في المكتبة يأخذ على عاتقه خدمة الباحثين وطلاب العلم ويهتم بصيانة المخطوطات وحفظها وتصويرها بأحدث الطرق العلمية، كما توجد فكرة لاصدار مجلة تعنى بالاسلام والتراث. وذكر لي ان منظمة (فوكا) الانسانية وهي منظمة كندية تحمست لمشروع مركز البحوث وقامت بتوفير الاجهزة المطلوبة والمكتبة الان في انتظار الحصول على الموافقات الاصولية من الجهات العليا .

خزائن كتب العائلة الجليلية والمدرسة الاسلامية واعلام المدينة في طريقها إلى التلف!